

## الانفصالية في إسبانيا نواة اجتماعية تخدم الأجندات الإسلامية

خطة تجريبية لتدريس الدين الإسلامي في مدارس كتالونيا



## مسلمون في شرك الأيديولوجيا

فترة قصيرة للغاية قد لا تتجاوز بضعة أشهر. وبالتسوية للقوى الأمنية، بعد ذلك مصدر القلق الأكبر، إذ أنه خلافا للعائدين من مناطق الحرب في الشرق الأوسط يصعب الكشف عن جهاديين محتلمين في هذا النوع. وأوضح تقرير في أغسطس 2017 أن برشلونة تعد أحد المراكز الجهادية في إسبانيا حيث تم منذ 2004 إلقاء القبض على 723 جهاديا، وحذر مكتب الاستخبارات والاستشارات الأمنية الإسباني (AICS) في يناير 2017 من تهديدات إطلاقها تنظيم "القاعدة" تفيد بأنه ينوي انتزاع سببته ومليونية على ساحل شمال أفريقيا.

ويحذر الكاتب والمحلل السياسي مانويل ميليان ميستر من أنه "في كتالونيا يمكن إنشاء أول جمهورية إسلامية في أوروبا لأن التراكم يزيد عن 12 في المئة من السكان"، موضحا أن "التجربة التاريخية تظهر أنه عندما تتجاوز هيمنة المسلمين 20 في المئة تتغير العادات والقواعد في المدارس ويبدأون في المطالبة بحقوق من المجتمع".

وأشار الكاتب إلى "أننا نشهد هجرة غير منظمة" في كتالونيا وأن وراء حركة الهجرة هذه "هناك نية"، مؤكدا "ما يحدث في كتالونيا ليس بلا مبرر".

وتابع "أجهزة المخابرات الدولية لديها معرفة كاملة بأسباب تجمع الكثير من المسلمين في كتالونيا، وعليهم الحذر، حيث إذا لم يتنبهوا ستولد جماعة إسلامية ذات يوم".

وأشارت صحيفة "أنا تيراديوس" الإسبانية على موقعها الإلكتروني إلى أن "نسبة السلفيين الجهاديين ارتفعت بشكل صارخ في مناطق معينة في إسبانيا، منها كتالونيا وتاراغونا ولا ريوخا وأراغون ونافارا وإقليم الباسك، وهي مدن تمثل مراكز للمهاجرين. ووفقا للصحيفة فإن "هؤلاء السلفيين يتبعون أساليب خاصة بهم إذ يندسون ضمن المجتمعات المسلمة وينتمون إلى الجمعيات الثقافية الإسلامية بغية السيطرة عليها وعلى المساجد المرتبطة بها، يساعدهم في تحقيق ذلك خطباء هذه المساجد الذين يرتبطون بعلاقة خارجية، تضخ إليهم التمويلات المالية، مقابل ترويجهم أفكار التطرف والجهاد".

السلفية التي يبلغ عددها في المنطقة 50 وفقا لآخر إحصاء. وتحولت المقاطعة إلى موطن لعدد كبير من المهاجرين من الجيل الثاني، وبين هؤلاء مجموعة من الشباب يعتقد أنهم شنوا هجمات برشلونة الأخيرة. وكان معظمهم أبناء مهاجرين مغاربة ترعرعوا في مدينة ريبول الصغيرة على سفوح سلسلة جبال البيرينيه. وكثيرا ما يتردد السياح على المدينة التي تعد نسبة الطلبة فيها منخفضة نسبيا، فيما وصف الجيران المشتبه فيهم بانهم مكون في عملهم وجديون. إلا أن الشرطة حذرت من احتمال أن يكونوا قد تطرفوا خلال

بشكل خاص إلى "الرابطة الإسلامية للصور والتعاشيش في إسبانيا"، حيث وتكون حكومة مستقلة تدير الأندلس الجديدة.

وأشار إلى عدم رفضه التعاون مع جماعة الإخوان، في إطار إقامة دولة "الأندلس"، قائلا في تصريحات إعلامية "هدف التجمع الأندلسي هو إقامة دولة الأندلس الحرة" يجمع شتات المسلمين المنتشرين في جميع أنحاء العالم للعودة إلى وطنهم الأندلس والتعاشيش في سلام".

وتقول رئيسة وحدة دراسات الشرق الأوسط في المعهد الأوروبي للبحر المتوسط، لورديس فيدال "عندما يتحدث الإخوان عن تحرير الأندلس، فهنا علينا أن نتوقف قليلا، لأن هذه لهجة مقلقة للغاية، وأن مشكلتنا مع الإخوان المسلمين لا تكمن في ممارسة العنف، فهم لا يفعلون ذلك في أوروبا مثلما يحدث في بعض دول الشرق الأوسط، لكن خطورتهم هنا تكمن في عملهم الدائم على خلق بيئة أيديولوجية ودينية تنبئ مثل هذه الأفكار المتشددة".

ويوجد في إسبانيا ما يقارب 1260 مركزا إسلاميا، حيث تشير التقارير ملحوظة في أعداد المهاجرين المسلمين إلى إقليم كتالونيا، وخصوصا منطقة تاراغونا التي تحوي عددا كبيرا من الجاليات المسلمة، ولحظت أيضا تزايدا ملحوظا في نشر الأفكار المتشددة وعدد معتنقيها، خصوصا المراهقين والفتيان الذين يواجهون صعوبات في الاندماج والاندخراط في المجتمع الإسباني، ويعانون من مشكلات حياتية معقدة، وهو ما يسهل عملية التجنيد وغرس الأفكار المتطرفة.

وتلعب المساجد والجمعيات الدور الأهم في عمليات استقطاب الشباب وتجنيدهم لخدمة المشاريع الإسلامية في الداخل والخارج، حيث تتكاتف جماعة الإخوان مع التيار السلفي المتواجد بقوة داخل الإقليم في خدمة المشروع رغم الخلافات العقائدية بين الطرفين.

ويحتكر الإسلاميون في الإقليم، سواء كانوا إخوانا أو سلفيين، الخطاب الديني الموجه للنشأة وفق البنية التي تخدم مصالحهم وتوجهاتهم، وهو ما جعل السلطات تبادر إلى تخليص الشباب المسلم من برائن الأيديولوجيا الدينية عبر تدريس المناهج الإسلامية المعتدلة في المدارس العامة.

وتطوق هذه الخطوة بشكل كبير أنشطة الجماعات الإسلامية، إلا إن مراقبين يعتبرونها غير كافية ما لم يتم دعمها بالإحاطة الاجتماعية للشباب المسلم الذي يشعر بالتهيمش ما يجعله فريسة سهلة للتجنيد والتجنيد بعد ذلك. وغالبا ما تلقت التقارير حول نشاط الإخوان المسلمين في إسبانيا الانتباه

القومي الأندلسي"، معرباً عن أمله في أن يستطیع الحزب القتال من أجل أرضهم، وتكون حكومة مستقلة تدير الأندلس الجديدة.

وأشار إلى عدم رفضه التعاون مع جماعة الإخوان، في إطار إقامة دولة "الأندلس"، قائلا في تصريحات إعلامية "هدف التجمع الأندلسي هو إقامة دولة الأندلس الحرة" يجمع شتات المسلمين المنتشرين في جميع أنحاء العالم للعودة إلى وطنهم الأندلس والتعاشيش في سلام".

وتقول رئيسة وحدة دراسات الشرق الأوسط في المعهد الأوروبي للبحر المتوسط، لورديس فيدال "عندما يتحدث الإخوان عن تحرير الأندلس، فهنا علينا أن نتوقف قليلا، لأن هذه لهجة مقلقة للغاية، وأن مشكلتنا مع الإخوان المسلمين لا تكمن في ممارسة العنف، فهم لا يفعلون ذلك في أوروبا مثلما يحدث في بعض دول الشرق الأوسط، لكن خطورتهم هنا تكمن في عملهم الدائم على خلق بيئة أيديولوجية ودينية تنبئ مثل هذه الأفكار المتشددة".

ويوجد في إسبانيا ما يقارب 1260 مركزا إسلاميا، حيث تشير التقارير ملحوظة في أعداد المهاجرين المسلمين إلى إقليم كتالونيا، وخصوصا منطقة تاراغونا التي تحوي عددا كبيرا من الجاليات المسلمة، ولحظت أيضا تزايدا ملحوظا في نشر الأفكار المتشددة وعدد معتنقيها، خصوصا المراهقين والفتيان الذين يواجهون صعوبات في الاندماج والاندخراط في المجتمع الإسباني، ويعانون من مشكلات حياتية معقدة، وهو ما يسهل عملية التجنيد وغرس الأفكار المتطرفة.

وتلعب المساجد والجمعيات الدور الأهم في عمليات استقطاب الشباب وتجنيدهم لخدمة المشاريع الإسلامية في الداخل والخارج، حيث تتكاتف جماعة الإخوان مع التيار السلفي المتواجد بقوة داخل الإقليم في خدمة المشروع رغم الخلافات العقائدية بين الطرفين.

ويحتكر الإسلاميون في الإقليم، سواء كانوا إخوانا أو سلفيين، الخطاب الديني الموجه للنشأة وفق البنية التي تخدم مصالحهم وتوجهاتهم، وهو ما جعل السلطات تبادر إلى تخليص الشباب المسلم من برائن الأيديولوجيا الدينية عبر تدريس المناهج الإسلامية المعتدلة في المدارس العامة.

وتطوق هذه الخطوة بشكل كبير أنشطة الجماعات الإسلامية، إلا إن مراقبين يعتبرونها غير كافية ما لم يتم دعمها بالإحاطة الاجتماعية للشباب المسلم الذي يشعر بالتهيمش ما يجعله فريسة سهلة للتجنيد والتجنيد بعد ذلك. وغالبا ما تلقت التقارير حول نشاط الإخوان المسلمين في إسبانيا الانتباه

القومي الأندلسي"، معرباً عن أمله في أن يستطیع الحزب القتال من أجل أرضهم، وتكون حكومة مستقلة تدير الأندلس الجديدة.

وأشار إلى عدم رفضه التعاون مع جماعة الإخوان، في إطار إقامة دولة "الأندلس"، قائلا في تصريحات إعلامية "هدف التجمع الأندلسي هو إقامة دولة الأندلس الحرة" يجمع شتات المسلمين المنتشرين في جميع أنحاء العالم للعودة إلى وطنهم الأندلس والتعاشيش في سلام".

وضع تنامي أعداد المسلمين في إقليم كتالونيا الإسباني قادة هذا الإقليم الذين يطالبون بالانفصال عن الحكومة المركزية في مدريد أمام حتمية حشد هذه الكتلة الاجتماعية في خدمة مشروعهم، وقد نجحوا في ذلك بالتحالف مع تنظيمات الإسلام السياسي في الاستفتاء المثير للجدل سنة 2017 والذي أعلن فيه من جانب واحد الانفصال عن إسبانيا. ووظفت التنظيمات الإسلامية التي تحتكر الخطاب الديني في الإقليم كل إمكانياتها اللوجستية لمعاودة هذا المطالب الذي يخدم في نهاية المطاف أجنداتها باستعادة أمجاد "الخلافة الإسلامية في بلاد الأندلس".

كافيا، بل بات كسب نفوذ واسع في مؤسسات الدولة الرئيسية مرحلة تالية على قائمة أهداف الإسلاميين الذي يسابقون الزمن لبلوغها.

ويقول لويس دي لا كورتية، الباحث في معهد الشؤون الأمنية بجامعة مدريد المستقلة، إن الإخوان المسلمين يعملون من خلال إستراتيجية مزدوجة، فهم "لا يحاولون فقط بناء نفوذ على أسس دينية، ولكن يعملون بكل جد على اكتساب نفوذ في المؤسسات السياسية وبين الطبقة الحاكمة في إسبانيا".

وإسبانيا دلالة تاريخية للمسلمين، وذلك لاحتضانها الدولة الأندلسية على أرضها في الماضي، ويلقى هذا التاريخ بظلاله على بعض المسلمين الإسبان، الذين ما زال يراودهم حلم إعادة "بعث" الأندلس المسلمة.

## الأندلس وأمجاد الخلافة

يرى مراقبون أن اختيار إقليم كتالونيا لإطلاق أولى التجارب في تدريس الدين الإسلامي في المدارس العمومية الإسبانية ليس اعتباطيا أو ذا علاقة بالكثافة السكانية للمسلمين في هذا الإقليم فقط إنما يعكس توجسا حكوميا من أنشطة جماعات الإسلام السياسي المتواجدة في الإقليم والتي تدعم بشكل خفي مطالبه بعض السكان الأصليين بالانفصال عن الحكومة المركزية في مدريد.

ومع تنامي أعداد المسلمين في الإقليم الذي يتمتع بالحكم الذاتي والذي أعلن الانفصال من جانب واحد عدة مرات، كتفت جماعات الإسلام السياسي نشاطها خدمة لهذه الأجنحة المحلية التي تتسق مع أجنداتها السياسية بعيدة المدى التي وهي استعادة أمجاد الخلافة الإسلامية في إسبانيا.

ويقول طارق أبوالسعد، القيادي السابق في جماعة الإخوان المسلمين، إن "الضربات الموجعة التي نالتها جماعة الإخوان في منطقة الشرق الأوسط استدعتها إلى تقوية نفوذها في أماكن أخرى ولا استبعد أن يكون إقليم كتالونيا تدشينا لمرحلة جديدة (...)، فإقليم كتالونيا يعد بيئة خصبة لجماعة الإخوان المسلمين، فهي تنظيم سري تفضل العمل تحت الأرض، فالإقليم يعاني من مشاكل وأفكار وأيديولوجيا داخلية تطالب بالانفصال والوضع المضطرب في كتالونيا يجعلها أفضل من العمل في دول ديمقراطية، ففي ظل المناخ الشوري المتواجد في كتالونيا يمكن أن يحدث التعاطف مع الإخوان".

ويدغدغ حلم "استرداد الخلافة" مشاعر أصحاب الأرض أيضا، ويظهر ذلك في "التجمع الوطني الأندلسي" الذي يرأسه الإسباني بيدرو إغناسيو التاميرانو، والذي يهدف إلى الانفصال عن الدولة، واستعادة الأمجاد القديمة بتأسيس دولة الأندلس الحرة، التي تشمل جنوب إسبانيا ومدن الريف المغربي وأجزاء من جنوب البرتغال.

ويؤكد إغناسيو التاميرانو أنه يسعى لجمع المسلمين، ليعيشوا معا على أرضهم، وفي سبيل ذلك أعلن في يونيو 2017 إنشاء حزب سُمّاه "الحزب



ظهير مجتمعي مناوئ للوحدة

حلمي همامي  
صحافي تونسي

قرر إقليم كتالونيا في إسبانيا الشروع هذا العام، مع حلول الموسم الدراسي الجديد، في تعليم الديانة الإسلامية داخل المدارس العامة في الإقليم، وهو ما يسمح للسلطات بتعزيز الخطاب الديني وقطع الطريق على توظيفه، فيما رحب مرصد الإسلاموفوبيا التابع لدار الإفتاء المصرية بالخطوة التي رأى فيها تحدينا للشباب المسلم في إسبانيا من محاولات التنظيمات الإسلامية تجنيده خدمة لأجنداتها، من خلال توفير المناهج الوسطية والمعلمين الأكفاء المعتدلين.

وأقرت مديرية التربية والتعليم في إقليم كتالونيا الإسباني خطة تجريبية لتعليم الديانة الإسلامية في المدارس العامة في كل من برشلونة وباخو بويريغات وجيرونا وتاراغونا، ابتداء من الموسم الدراسي الجاري 2020 - 2021 ، على أن يجري التعليم من منظور يخدم الاندماج في المجتمع.

وحسب مضمون هذا المشروع "ستحسّن" أن تباشر التجربة في المراحل الابتدائية الأولى وفي السنة الأولى من التعليم الثانوي. وفي حال توفر لاحقا معلمون لتدريس التربية الإسلامية، تختارهم اللجنة الإسلامية في إسبانيا، بعد متسع من الوقت، يمكن مواصلة التجربة مع مراحل دراسية أعلى.

مانويل ميليان ميستر  
في كتالونيا يمكن إنشاء أول جمهورية إسلامية في أوروبا

وتمثل الاضطرابات الاجتماعية في إقليم كتالونيا، إضافة إلى احتضانه قرابة نصف الجالية الإسلامية في إسبانيا، بيئة مواتية لتغذية الفكر الانفصالي المسنود بخلفيات تاريخية؛ حيث تلقى مطالبه بعض السكان الأصليين بالانفصال عن الحكومة المركزية مع الأهداف بعيدة المدى وغير المعلنة لتنظيمات الإسلام السياسي، وهي حسب رأي هذه التنظيمات استعادة أمجاد "الخلافة الإسلامية في بلاد الأندلس".

وتحالفات الأحزاب السياسية الكتالونية مع المسلمين ودعمهم على أساس أن يصوتوا لأجل الانفصال، وقد حدث هذا.

لكن ويدغدغ حلم "استرداد الخلافة" مشاعر أصحاب الأرض أيضا، ويظهر ذلك في "التجمع الوطني الأندلسي" الذي يرأسه الإسباني بيدرو إغناسيو التاميرانو، والذي يهدف إلى الانفصال عن الدولة، واستعادة الأمجاد القديمة بتأسيس دولة الأندلس الحرة، التي تشمل جنوب إسبانيا ومدن الريف المغربي وأجزاء من جنوب البرتغال.

ويؤكد إغناسيو التاميرانو أنه يسعى لجمع المسلمين، ليعيشوا معا على أرضهم، وفي سبيل ذلك أعلن في يونيو 2017 إنشاء حزب سُمّاه "الحزب